تمهيد: يعدّ الفنّ المسرحيّ مجالا خصبا للممارسات النّقديّة منذ أرسطو، الّذي يعتبر أوّل من تعامل مع الظّاهر المسرحيّة تعاملا نقديّا واعيا، إلى يومنا هذا، غير أنّ تميّزه بالزّخم العلاميّ يجعل العمليّة النّقديّة مطلبا عزيزا يستدعي، تجاوزا لمهارات النّقد الأدبي، مهارات متعدّدة تجمع بين المهارة اللّغويّة، والتّأويليّة، والتقنيّة؛ ذلك أنّ النّاقد المسرحيّ ينبغي أن يكون ناقدا لغويّا، وسيميائيّا، وفنّانا يحسن فهم لغة الإضاءة والدّيكور، والأزياء وغيرها.

1- تعريف النقد المسرحيّ: يعدّ مصطلح النّقد المسرحيّ مصطلحا فضفاضا يتّسع ليشمل ممارسات نقديّة مختلفة تقف بعضها عند حدود شرح وتحليل النصّ المسرحيّ، ويتجاوز بعضها الآخر المستوى النصيّ لتشمل عمليّات الإخراج، والعرض، وعليه أصبح هذا المصطلح «تسمية عامّة تشمل مجالات متعدّدة، منها الكتابات الّتي تنصبّ على الحركة المسرحيّة من نصوص وعروض، ومنها الدّراسات الّتي تعرّف بالكتّاب ونصوصهم وبالمخرجين والممثّلين، وبالعروض المقدّمة، وبتاريخ المسرح. ومنها الأبحاث النّظريّة حول المفاهيم المسرحيّة وطرق تحليل النصّ والعرض. هذه الكتابات يمكن أن تصدر في كتب ومجلاّت مختصّة، أو تأخذ منحى إعلاميّا وتبثُّ عبر وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة.»[1]وقد نتج عن تعدد مجالات النّقد المسرحيّ تعدّدا اصطلاحيّا بين الباحثين، فاستعمل بعضهم مصطلح "النّقد الدراميّ" ليصف الممارسة النّقديّة الّتي «يقوم بهاالصّحافيّون [ويكون] هدفها هو الاستجابة الفوريّة لإخراج مسرحيّ في الصّحافة والوسائط السّمعيّة البصريّة.»[2]وتتحدّد وظيفتها بالإخبار عن عمل مسرحيّ ما، والتّشهير له، ووصفه مضمونا وممثّلين وإخراجا. ويفرّق "إبراهيم حمادة" بين مصطلح "العرض النقديّ السّريع" ومصطلح النّقد المسرحيّ بأنّ الأوّلهو «ملاحظات أو تعليقات نقديّة مختصرة يبديها كاتب على عرض مسرحيّ، وينشرها في مجلّة أو صحيفة، أمّا النّقد

---

[1]- ماري إلياس وحنان قصاب حسن، المعجم المسرحيّ –مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض–(عربي- إنجليزي- فرنسي)، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط2، 2006، ص501.

[2]- أحمد بلخيري، معجم المصطلحات الدراميّة والمسرحيّة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط2 (مزيدة) 2006 ص188.

المسرحيّ فهو التّعليق التّحليليّ الأكثر جديّة ومنهجيّة»[1] دون أن يحدّد، على نحو ما نجد عند نقّاد آخرين، ما إذا كان النّوع الأوّل يصدر عن الصّحفيّين، في حين يصدر النّوع الثّاني عن أكاديميّين متخصّصين.

2- بدايات النّقد المسرحيّ في الجزائر: على الرّغم من تأخّر ظهور النّقد المسرحيّ المنهجيّ في الجزائر لأسباب كثيرة منها ما يتعلّق بالظّروف الاستعماريّة الّتي شغلت بال النّخبة المثقّفة في بلادنا بمواضيع السّيادة الوطنيّة، وأحدثت قطيعة مع المشرق العربيّ، وبطئ عجلة الإبداع المسرحيّ نفسه كونه فنّا وافدا ظلّ يناضل من أجل فرض ذاته في السّاحة الثّقافيّة المحليّة، إلاّ أنّ بعض الدّارسين يرجعون بداية تشكّل القيم النّقديّة المسرحيّة الأولى إلى فترة الثّلاثينيّات والأربعينيّات من القرن الـ 20، وهي الفترة الّتي شهدت البدايات الجنينيّة للكتابة المسرحيّة الجزائريّة بفضل جمعيّة العلماء المسلمين، الّذين إلى جانب إبداعهم لنصوص مسرحيّة تاريخيّة ودينيّة، كان أعضاؤها يصدرون تعليقات بسيطة، في أعمدة صحف ومجلاّت مختلفة كالمنتقد، والبصائر، والشّهاب وغيرها، وانطباعات شخصيّة هدفها تشجيع الفنّ المسرحيّ في الجزائر، والتّعريف القرّاء بنصوصه.

3- أنواع النّقد المسرحيّ الجزائريّ: تتوزّع الممارسة النّقديّة المسرحيّة في الجزائر على مستويات عديدة حسب ثقافة منتجيها وانتماءاتهم المهنيّة؛ فمنها الممارسات الصّادرة عن نقّاد الأدب، ومنها الصّادرة عن الصّحفيّين، ومنها الصّادرة عن رجال المسرح أنفسهم سواء أكانوا ممثّلين أم مخرجين، ومنها الصّادرة عن باحثين أكاديميّين على النّحو الآتي:

أ- الممارسة النّقديّة الصّادرة عن نقاد الأدب الذين يدرجون الخطاب المسرحيّ ضمن مؤسّسة الأدب فينصبّون على دراسته بالاعتماد على شقّه النصيّ مع تغييب كامل لشقّ العرض، ومن أمثلتهم: عبد الله الركيبي، محمد مصايف، عبد الملك مرتاض وغيرهم من النّقاد الأدب الّذين عملت جهودهم على سدّ ثغرة غياب النّقد المسرحيّ المتخصّص في بلادنا.

---

[1]- معجم المصطلحات الدرامية والمسرحيّة، مكتبة الأنجلو مصريّة، ط3، 1994، 172.

اتّسم هذا النّوع من النّقد المسرحيّ بسمات عديدة كالتّركيز على المضمون دون الالتفات إلى الجوانب الفنيّة وأثرها في تشكيل جمالية الخطاب المسرحيّ، فقد كان هذا النّوع من النّقد يسعى إلى الإجابة عن سؤال: ماذا يقول النصّ؟ مغفلا سؤال: كيف يقول النصّ مضمونه؟. فضلا على أنّ أصحابه كانوا ينظرون إلى العمل المسرحيّ في مستواه النصيّ فقط، ويغفلون مستوى العرض الّذي يمثّل خصوصيّة بالغة الأهميّة، إلى جانب الابتعاد عن الرّؤية العلميّة الدّقيقة لأنّ معظم التّعليقات الصّادرة عن أصحابه لا تعدو أن تكون انطباعات قائمة على البعد التّأثريّ الّذي لا يرقى إلى مستوى الموقف النّقديّ.

ب- الممارسات النّقديّةالصّادرة عن الصّحافيّين سواء أكانوا هواة أم محترفين يتمتّعون بقدر ما من الثّقافة المسرحيّة، وتهدف كتاباتهم إمّا لمتابعة النّشاط المسرحيّ، أو لتحليل عمل ما ومن أمثلتهم: أحمد بيوض، بوزيان بن عاشور وغيرهم.

فقد أدّى النّقد الصّحفيّ المكتوب دورا مهمّا في التّرويج للنّشاط المسرحيّ في الجزائر منذ فتراته الأولى، حيث قام «بدور الوسيط بين المسرح والمتلقي حتى غداة الاستعمار الفرنسي...»[1] فكانت الجرائد، على قلّتها، تتكفّل بنشر أغلب النّصوص المسرحيّة التي كتبها أعضاء جمعيّة العلماء المسلمين كالبشير الإبراهيمي وغيره، وتُسهِم في الإعلان عن تواريخ العروض المسرحيّة في المدن المختلفة، والتّعريف بموضوعاتها، ونشر الوعي بدور المسرح في التّثقيف وتزكية الرّوح الوطنيّة.

وعلى الرّغم من الدّور الفعّال الذي أدّته هذه الكتابات الصّحفيّة في مواكبة النّشاط المسرحيّ حتّى شكّلت «اللبنة الأساس لصرح الدراسات اللاحقة حول المسرح الجزائري، و[كانت] بذلك المهاد الذي انطلق منه النقد المسرحي في الجزائر، بل أكثر من هذا فقد شكلت هذه التغطيات الرحم الذي

[1])- صورية غجاتي، النقد المسرحي في الجزائر، مخطوط دكتوراه، إشراف: عبد الله حمادي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري-قسنطينة- 2012م-2013م، ص 208.

نشأ فيه هذا النقد»[1] إلاّ أنّها كانت تتّسم بالتّعميم، والسّطحيّة في التّحليل، فلم تكن تُعْنَى بالجوانب الفنّية للأعمال المسرحيّة، بقدر ما كانت تكتفي بالإعلان عنها، أو تلخيص موضوعاتها، وإعطاء القارئ صورة عامّة عنها، ممّا جعلها تتّسم بالانطباعيّة، والذّاتيّة في أغلب الأحيان وهو ما جعل بعض الدّارسين يقلّلون من قيمتها لأنّها، في رأيهم، «سطحيّة في الغالب، لا تعدو أن تكون مجرّد دعاية لاجتذاب الجمهور»[2]

والحقّ أنّ الممارسة الصّحفيّة المتعلّقة بالنّشاط المسرحيّ في الجزائر تتوزّع على قسمين: قسم كان يهدف إلى التّغطية الإعلاميّة فحسب إمّا بدافع الهواية أو التّكليف المهنيّ، هذا الأخير الذي يعدّ «الأكثر حضورا وتوافرا في المشهد الصحفي، فقد خضعت نسبة كبيرة من المادة الإعلامية الموجهة إلى المسرح إلى مقاييس ومواضعات التكليف المسرحي من حيث التقيد بمساحة ورقية محددة، والنزوع نحو بساطة الأسلوب...»[3] ولا غرو، والحال هذه، أن تظهر في هذه الكتابات سمات الاقتضاب، وهنات الاستعجال. أمّا القسم الثّاني فيتميّز بالرّزانة في الطّرح، والموضوعيّة في المعالجة لأنّه صادر عن صحفيّين ونقّاد متمرّسين بدروب الكتابة العلميّة، وقوانينها، عارفين بفنّ المسرح معرفة عميقة ومن أمثلة هؤلاء النّقاد: جروة علاوة وهبة، أحمد بيوض، عاشور بوزيان، حفناوي بعلي، أحسن تليلاني، كمال بن ديمراد، عبد الكريم سكار، أحمد بن صبان[4] وغيرهم من النّقاد الذين آمنوا بالارتباط الوثيق بين الصّحافة والمسرح باعتبارها وسيلة خادمة له، تستند في مادّتها إلى نصوصه، وعروضه.

ج- الممارسات النّقديّة الصّادرة عن رجال المسرح ممثّلين كانوا أو مخرجين في شكل "مذكّرات" تلخّص تجاربهم المعيشة لهذا الفنّ، وتؤرّخ لبعض نشاطاته وعلى رأسها مذكّرات "محي الدين

---

[1]- محمد تحريشي، (النقد المسرحي في الجزائر، سؤال في المكوّن) مجلة عمان، أمانة عمان الكبرى، عمان، ع137، تشرين الثاني، 2006م، ص33. وينظر أيضا: المرجع السّابق، ص206.

[2]- الرشيد بو شعير، أثر برتولد بريخت في مسرح المشرق العربي، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب جامعة دمشق، 1983م، ص3.

[3]- صورية غجاتي، النقد المسرحي في الجزائر، ص201.

[4]- المرجع نفسه، ص212 (بتصرف).

بشطارزي" ومذكّرات "علالو" وغيرهما، وتعتبرهذه المذكّرات «من أهمّ المراجع الّتي اعتمدت عليها الدّراسات النّقديّة في المسرح الجزائريّ»[1]. ولعلّ ميزة النّقد الصّادر عن رجال الفنّ المسرحيّ الجزائريّ هو أنّه نقد غير مؤسّس على رؤية علميّة دقيقة، ولا يعنى بالسّلامة اللّغويّة، يغلب عليه العفويّة والانفعاليّة، غير أنّه ينبثق من داخل المشهد المسرحيّ ويتتبّع سيرورة الأعمال المسرحيّة عن كثب لأنّه يعايشها.

د- الممارسات النّقديّة الصّادرة عن الباحثين الأكاديميّين: في مقابل هذه النّشاطات التي تتباين استراتيجيّات التلقّي عندها بين المنبثقة عن مؤسّسة الأدب، والمنبثقة عن مؤسّسة الصّحافة، هناك النّشاط النّقديّ ذو الطّابع الأكاديميّ الذي تنطبق عليه شروط البحث العلميّ من صرامة منهجيّة، ودقة مصطلح، وإحالة إلى الهوامش، ويتمّ في الجامعات والمعاهد ثمّ يصدر في رسائل، أو كتب أو مجلات مختصة، وهو ما يطلق عليه مصطلح الدراسات المسرحية Etudes Théâtrale[2] ومن روّاد هذا النّشاط "احسن تليلاني"، و"حفناوي بعلي" و"أحمد شنيقي" و"صالح لمباركيّة" و"اسماعيل بن صفية" و"جازية فرقاني" وغيرهم.

تميّز هذا النّقد بجملة من السّمات نذكر منها:

- الإفادة من أنواع النّقد المسرحيّ الأخرى حيث استعان أصحابه بما توفّر لهم من نقد صحافيّ، كما اعتبروا مذكّرات رجال المسرح مادّة هامّة يرتكزون عليها في التّنظير للفنّ المسرحيّ الجزائريّ.

- الاعتماد على تقنيات البحث العلميّة الدّقيقة ما أمكن إلى ذلك سبيلا؛ ولاسيّما فيما يتعلّق بالأمانة العلميّة والتّوثيق، وتمحيص المعلومات وفحصها.

---

[1])- المرجع السّابق، ص119.

[2])- Pavice Pavis, dictionnaire du théâtre, termes et concepts de l'analyse théâtrale, éditions sociales, p456.

وينظر أيضا:صورية غجاتي، النقد المسرحي في الجزائر، ص180.

– جنح هذا النّقد إلى التّحليل والتّعميم، وابتعد عن الأحكام المطلقة، والتّعسفيّة، وسعى أصحابه غلى تطبيق المناهج النّقديّة في دراسة الظّواهر المسرحيّة.

– تنوّعت موضوعات هذا النّقد بين دراسة مسرحيّات جزائريّة أو عربيّة أو عالميّة، وبين دراسة ظواهر مسرحيّة كظاهرة توظيف التّراث وغيرها.

ومهما يكن من أمر فإنّ النّقد المسرحيّ بكافّة أشكاله أسهم مساهمة فعّالة في تطوير الفنّ المسرحيّ في الجزائر، وعلى الرّغم من الاختلافات الواسعة بين هذه الأنواع إلاّ أنّها شكّلت مشهدا نقديّا متكاملا كان لكلّ نوع فيه إيجابيات وسلبيّات، وكان انتشاره تلبية لخصائص فترة زمنيّة معيّنة.